اقتناص اللحظة (*): الولايات المتحدة والعالم الإسلامي بعد نهايات الحرب الباردة

محمد السمّاك

ماذا تعني نهاية الحرب الباردة، وانهيار الشيوعية، وتفتت الاتحاد السوفياتي وقيام نظام عالمي على قاعدة قوة كبرى واحدة هي الولايات المتحدة؟..

أي فرص وأي دور توفر هذه المتغيرات للولايات المتحدة؟

من يكون «العدو» الجديد وكيف يمكن تحديده ومن ثم التعامل معه؟

وأين يقع العالم الإسلامي في هذه المعادلة الجديدة؟..

هذه الاسئلة يطرحها ويجيب عليها الرئيس الاميركي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه الجديد «اقتناص اللحظة».

صدر للرئيس نيكسون قبل هذا الكتاب ثمانية كتب سياسية. وهو إن لم يكن أكثر رؤساء اميركا ثقافة سياسية فهو بالتأكيد من أوسعهم ثقافة. ولقد أثارت كتبه السابقة نقاشات واسعة داخل الولايات المتحدة وخارجها، إلا أن هذا الكتاب الجديد قد يكون أهمها على الإطلاق لأنه يعالج موضوعاً يشغل بال

(*) قراءة في كتاب الرئيس الأميركي الأسبق الجديد:
Richard Nixon, Seize the Momment,Americas Challenge in a One - Superpower World, (Simon & Schuster, N.Y. 1992)

كل دول العالم. وهو يهمنا كعرب وكمسلمين بصورة خاصة. ذلك أن الرئيس نيكسون قسم العالم إلى ثلاث مناطق رئيسة من حيث دور الولايات المتحدة ووظيفتها في قيادة العالم الجديد. وهذه المناطق هي المثلث الباسيفيكي (روسيا ـ الصين ـ اليابان)، العالم الاطلسي (اميركا ـ أوروبا)، النصف الجنوبي (العالم الثالث).

وإذا كان هذا التقسيم اعتمد الجغرافيا أساساً له، فإنه تجاوز ذلك تماماً عندما خصَّص فصلاً كاملاً عن العالمِ الإسلامي راسماً صورة هذا العالم كما هي في الذهن الأميركي والغربي، محاولاً تحليل أوضاعه وبنيته الايديولوجية والسياسية، محدِّداً الاقتراحات والمخططات التي يدعو الولايات المتحدة إلى اعتمادها في تعاملها معه.

من أجل ذلك رأينا دراسة هذا الكتاب وعرض ما تضمنه من أفكار لما قد يكون له من تأثير مستقبلي على صناعة القرار الأميركي من العالم الإسلامي خاصة، والعالم الثالث بصورة عامة.

يقول ريتشارد نيكسون في الملاحظة الأخيرة التي اختتم بها كتابه (ص٣٠٧) إنه عندما بدأ إعداد كتابه في عام ١٩٩٠ كان هدفه مخاطبة الدور الأميركي في العالم بعد الانهيار التاريخي الذي حصل في عام ١٩٨٩ بدول أوروبا الشرقية التي تدور في فلك موسكو.

ويقول إنه وجد في هذا الانهيار فرصةً لا مثيل لها لتحقيق انتصار من دون حربٍ في الصراع بين الشرق والغرب. إلّا أن نيكسون يعترف أنّ العالم تغير بعد ذلك بصورة دراماتيكية. فالولايات المتحدة قادت تحالفاً دولياً لتحرير الكويت في حرب الخليج في عام ١٩٩٠. ثم إنّ موت الشيوعية وتمزق الامبراطورية السوفياتية في عام ١٩٩١ أحدث ثورةً على المسرح السياسي الدولي. ولذلك «أعتقد أنه من الضروري أن تقتنص الولايات المتحدة هذه اللحظة لإرساء السلام ولنشر لواء الحرية في العالم» (ص.٣٠٨).

يستعير نيسكون من ماوتسي تونغ الاسم الذي اعتمده لكتابه. وهو يذكر

في المقـدمة الأولى (ص١٣) أنـه خلال الاحتفـال بإقـامة عـلاقات جـديدة بـين الولايات المتحدة والصين في قاعة الشعب الكبرى في بيكين قبل عشرين عامـاً، نقل قصيدةً ألقاها ماوتسي تونـغ يحُثُّ فيها أتبـاعه عـلى العمل من أجـل انتصار الشيوعية؛ جاء في القصيدة:

«إنّ العالم ينطوي ورائنا
الوقت يمضي
اقتنصوا اليوم
اقتنصوا الساعة»

وقد جاء نيكسون الآن ليدعو على أنقاض الشيوعيـة والاتحاد الســوفياتي إلى «اقتناص اللحظة».

ويمكن اقتنـاص اللحظة في اتجـاهين متنـاقضين. الاتجـاه الأول العـودة الى الانعزالية الأميركية التي كانت قائمةً قبل الحرب العالمية الأولى. وهناك من ينظر إلى هذا التوجه في الولايات المتحدة عـلى أساس أنـه لم تعد هنـاك حاجـة للقيام بدور أميركي رئيسي في العالم (ص٣٠٨). الآن هناك من يدعو لنـظرية عكسيـة تماماً.

(١) أعد البنتاغون الأميركي - وزارة الـدفاع - وثيقـة رسمية تقـول إنّ على الـولايات المتحـدة بعد أنهيار الاتحاد السوفياتي ان تحول في المستقبل دون قيام أي دولة أو مجمـوعة من الـدول بتحدي الهيمنة الأميركية على العالم. وتدعو الوثيقة التي تقع في ٤٦ صفحة إلى أن يكون دور الولايات المتحـدة هو اقنـاع منافسيهـا المحتملين بأنهم ليسـوا في حاجـة إلى أن يلعبـوا دوراً أكـبر أو أن يسلكوا سياسة أعنف من أجل حماية مصـالحهم المشروعة. وتقـول الوثيقـة أيضاً إنـه من أجل تحقيق هذا الدور يتحتم على الولايات المتحدة رعاية مصالح الدول الصناعية المتقدمة من أجل تشجيعها على عدم تحدي القيادة الأميركية وعلى عدم محاولة تغيير النـظام السياسي الاقتصـادي العالمي. وفي تقدير الوثيقة إنّ هذا الأمر يتطلب اعـداد قوة عسكـرية خـلال السنوات الخمس القادمة يبلغ عددها ١,٦ مليون رجل وتبلغ نفقاتها ١,٢ ألف مليار دولار. ومن خلال ذلـك يبدو أنّ التوجه لتكريس الآحادية الأميركية عـلى رأس النظام العـالمي تحولت أو كـادت تتحول من فكـرة إلى مبدأ اسـتراتيجي، ويحاول الـرئيس الأميركي الأسبق نيكسـون في كتابـه أن يبين كيف يمكن ان يتم ذلك. أنظر: Herald Tribune, 9-3, 1992, No. 33911, p,1

وقد يكون نيكسون أبرز هؤلاء، وتدعو هـذه النظريـة إلى اقتناص اللحـظة لنشر القيم والمبادىء الأميركية في العالم كله.

يرى نيكسون: «أنّ نهاية الحرب الباردة لم تجعل العالم أكثر سهولةً بـل أشدّ تعقيداً. لقد حلّت بعض المشـاكل ولكنهـا فتحت المجال أمـام مشاكـل جديـدة معقدة. ولذلك فإنّ دوراً مركزياً للولايات المتحدة أصبح الآن أكـثر ضرورةً من أيّ وقت سابق «ص٣٠٨». وبالفعـل فإنّ نيكسـون يتحدث في الفصـول الستة الأولى من كتابه عن كيفية ممارسة هذا الدور الأميركي القيادي للعالم. ويتحدث في الفصـل السابـع عن الدور الـذي يجب أن تقوم بـه القيادة الأمـيركية داخـل الولايات المتحدة نفسها حتى تتمكن من تـوفير المعـطيات الـلازمة لقيـادة العالم. ويخصص نيـكســون فـصـلاً كـامـلاً من ٣٧ صـفحـة لـلعـالم الإسـلامي (١٩٤ ـ ٢٣١)، ويهمنا أساساً من الكتاب هذا الفصل بالذات، لما يتضمنه من تصوير للعالم الإسلامي بعين أميركية، ولما يقدمه المؤلف من وصفات ومقترحات محددة لاعتمادها أساساً في التعامـل مع هـذا العالم الإسـلامي تحت مظلة الـنظام العالمي الجديد.

ولكن قبـل التوقف أمـام هذا الأمـر لا بد من عـرضٍ لأبرز الافكـار التي تتعلق بالمناطق الأخرى في العالم، وهي حسب التقسيمات التي اعتمدها المؤلف:

١ ـ امبراطورية الشيطان السابقة (روسيا).

٢ ـ العالم الاطلسي.

٣ ـ المثلث الباسيفيكي.

٤ ـ النصف الجنوبي للكرة الأرضية (العالم الثالث).

الاتحاد السوفياتي:

بالنسبة للاتحاد السوفياتي ـ السـابق ـ يعتبر نيكسـون أنّ تلك الامبراطـورية التي كانت تتألف وهي في الذروة من أكثر من ١٢ أمة، بدأت بالتفتت (ص٤١) ذلك أنها كانت خليطاً من الشعوب لا يجمـع بينها سـوى المعانـاة التاريخية ضد

المستعمر المركزي (روسيا) والعداء تجاه بعضها البعض (ص٤٢).

ومن الواضح أنّ الاتحاد السوفياتي لم يكن قد انهار تماماً وأنّ الحزب الشيوعي السوفياتي كان لا يزال واقفاً على رجليه عندما أعدَّ نيكسون كتابه. مع ذلك فإنه يحذّر «من تحويل الهزيمة الشيوعية في المركز» إلى هزيمة للأمة الروسية (ص٤٣)، ويرى (ص٦٩) أن احتمال قيام مركز امبريالي جديد ليس على قاعدة الشيوعية إنما على قاعدة الوطنية الروسية من شأنه أن يدفع تواتر الاحداث نحو هدف أشد اضطراباً. ويقول: «صحيح أنّ الشيوعية فقدت صدقيتها إلاّ أنّ الاشتراكية لا تزال تستقطب قطاعاً واسعاً من المجتمع السوفياتي». ويشير إلى «أن غورباتشوف قاوم باستمرار أي إصلاحات باعتماد مبدأ السوق الحر على قاعدة عقائدية» (ص٤٤).

ويذكر نيكسون أنه قبل زيارته الاخيرة إلى الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٩١ حصل على ملف رسمي عن بوريس يلتسين يصف يلتسين بالانتهازية والخفة والإفراط في تناول المشروبات الكحولية، وأنه يتصرف برعونة ومزاجية وأنه بعيد عن النخبة الاجتماعية الثقافية التي كانت تتحلق حول غورباتشوف (ص٥١). ولكنه يصفه بأنه نسخة عن خروتشوف في حدة ذكائه، ويقول إن يلتسين هو سياسي أفضل من غورباتشوف، فهو مزيج من جون واين (ممثل السينما) وليندون جونسون (الرئيس الأميركي الأسبق) (ص٥٢). أما عن غورباتشوف فيصفه بأنه نسخة سوفياتية عن ادلاي ستيفنون (الدبلوماسي الأميركي المثقف) ويقول إنه لامع ثقافياً، خارق على شاشة التلفزة ولكنه غير قادر على الاتصال برجال الشارع (ص٥٢). وعن علاقة شعوب الاتحاد السوفياتي بروسيا يقول نيكسون إن ستالين قتل ٥ ملايين فلاح في اوكرانيا أثناء إقامة المزارع الجماعية، و١٠ مليون من خلال المجاعة التي فرضها عليهم و٣ ملايين من خلال قمع المقاومة الوطنية بعد الحرب. وأخيراً حكم على مليونين بموت مبكر بسبب كارثة تشيرنوبيل (ص٥٧). وفي روسيا البيضاء لم يكتف ستالين بقتل ١٠٠ ألف شخص في قمع المقاومة في الثلاثينات، ولكنه قضى بموت ١,٥ مليون انسان وبتدمير ٧٥ بالمئة من المدن بسبب استراتيجيته العسكرية الغبية خلال الحرب

العالمية الثانية. وفي جمهوريات البلطيق ليتوانيا ولاتفيا واستونيا قتل ستالين ١٥٠ ألفاً أثناء المقاومة الوطنية ضد روسيا بعد الحرب العالمية الثانية، بينما قتل ٥٤٠ الفاً آخرين خلال نفيهم إلى سيبيريا. وفي مولدافيا (التي انتزعتها روسيا من رومانيا) حكم ليونيد برجنيف على الآلاف بالإعدام ونفى ٣٠ ألفاً إلى معسكرات العمل في سيبيريا.

وفي جمهوريات القوقاز حكم على ١٠٠ ألف أذربيجاني وعلى ٣٠ ألف جيورجي، وعلى عشرات الآلاف من الأرمن بالسجن والتعذيب والقتل في عهد ستالين. وعندما ضاقت سجون أرمينيا استعملت الطوابق السفلى من المباني الحكومية سجوناً. وفي جمهوريات آسيا الوسطى سحق ستالين قوات المقاومة المعادية للشيوعية التي تصدت لموسكو طوال الثلاثينات. أما خروتشوف فقد رفع شعار «الأرض العذراء» لتوطين مئات آلاف الروس في هذه الجمهوريات. ويستنتج نيكسون من ذلك: أنه في ضوء هذه المآسي الإنسانية لم يكن منطقياً أن تستخدم هذه الأمم حريتها السياسية في عهد غورباتشوف من أجل أقامة اتحاد جديد مع موسكو (ص٥٨). وعن المرحلة التالية يقول نيكسون: «إنّ أيّ ثورةٍ تقتضي خوض معركتين، واحدة حول الايديولوجيا والثانية حول السيطرة على الدولة. ولقد تمكنت القوى الديمقراطية من كسب الحرب الأولى ولكنها تعثرت في أول صِدامٍ رئيسيٍّ لها في الحرب الثانية» (ص ٦٨).

ويدعو نيكسون الإدارة الأميركية قبل تقديم أي مساعدة إلى الاتحاد السوفياتي السابق، إلى وقف المساعدات التي كانت تقدمها موسكو إلى دول العالم الثالث. ويقول إنه في عام ١٩٩٠ وافق غورباتشوف على موازنة المساعدات الخارجية التي تضمنت ٦ مليارات دولار لكوبا، ٢,٥ مليار دولار لفيتنام، ٣,٥ مليار دولار لافغانستان، ١,٥ مليار دولار لسوريا، مليار دولار لكل من كوريا الشمالية وأنغولا وليبيا، و٥٠٠ مليون دولار لإثيوبيا و٥٠ مليون دولار للساندينيستيين في نيكاراغوا، أي ما قيمته الاجمالية ١٧ مليار دولار. ويرى نيكسون أنه بهذا المبلغ يمكن شراء ٢٢ مليون طن من الحبوب أو تدريب ١١ مليون عامل على مهن يحتاج إليها السوق الاقتصادي (ص٩١).

ويختتم غورباتشوف هذا الفصل الأول من كتابه برواية حوار جرى مع خروتشوف قبل ٣٢ عاماً، ويقول (ص١١١): قال لي خروتشوف برعونة: إنّ أحفادك سوف يعيشون في ظل الشيوعية! فأجبته: إن أحفادك سوف يعيشون في ظل الحرية! ويقول نيكسون: «في ذلك الوقت كنت واثقاً أنه كان مخطئاً ولكنني لم أكن واثقاً من أنني على صواب»!

العبرة التي يخرج بها نيكسون من ذلك كله هي أنّ انهيار الاتحاد السوفياتي يوفر للولايات المتحدة فرصةً لا مثيل لها لإعادة تنظيم العالم على أُسُس أشد استقراراً. ويحذر من أن الوضع العالمي قد يسقط في الفوضى إذا أدارت الولايات المتحدة ظهرها وركزت اهتمامها على الداخل الأميركي[٢].

العالم الأطلسي:

عن العالم الأطلسي، يشير نيكسون إلى شعار أطلقه غورباتشوف قبل ست سنوات يعكس فيه تصوره للمستقبل الأوروبي. وهو شعار: «البيت الأوروبي المشترك من الأورال إلى الأطلسي». ويرى غورباتشوف أن الميراث الثقافي والتاريخي المشترك سوف يحقق تكاملاً اقتصادياً وتعاوناً يضمن السلام والاستقرار، وسوف يوحّد قارة مزقتها خمسون سنة من توترات الحرب الباردة.

ويقول نيكسون عن ذلك (ص١١٣) على الرغم من أنّ العديد من المراقبين يجدون في هذا الاقتراح جاذبيةً كبيرةً، فإنه يلفت الانتباه إلى الجانب الذي أهمله اكثر مما يلفت الانتباه، إلى الجانب الذي تضمنه: الدور الرئيس للولايات

(٢) دافع الرئيس نيكسون عن وجهة نظره في مقال نشرته مجلة «تايم» الأميركية قال فيه: «بعض الديمقراطيين الذين يديرون ظهورهم للتقاليد العالمية لودرو ولسون وفرانكلين روزفلت وهاري ترومان يدّعون أن الولايات المتحدة أفقر من أن تلعب دوراً رئيساً في العالم وأنه لا جدوى من القيام بمثل هذا الدور. وبعض الجمهوريين الذين يتخلون عن تقاليد السياسة الخارجية المستنيرة والممتدة من ايزنهاور حتى بوش، يدعون إلى انعزالية جديدة.
إن الاثنين عاجزان عن رؤية العلاقة الحديدية بين قيادة الولايات المتحدة وهدفينا التوأم وهما السلام في الخارج والازدهار في الداخل»؛
أنظر: Richard Nixon, We are Ignoring our Role, (Time Magazine, March 16, 1992, No. 11) p.84

المتحدة. فمن خلال تحديد الشواطىء الشرقية للأطلسي على أنها حدود البيت الأوروبي المشترك، فإنّ غورباتشوف يتعمد إقْصاء أميركا عن مستقبل القارة (ص١١٣). ويرى نيكسون أنّ فكرة البيت الأوروبي المشترك هي نسخةٌ مستحدَثةٌ عن سياسة موسكو التقليدية التي تستهدف شَقَّ الولايات المتحدة عن حلفائها الأوروبيين (ص١١٣). ويحذّر نيكسون: «صحيحٌ أنّ الاتحاد السوفياتي خسر الحرب الباردة ولكنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّ الغرب ربحها» (ص١١٤). ويذكر نيكسون المقومات الجيو - سياسية الأربعة التي أَمْلت السياسية الأميركية في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، وهي:

١ - الوجود العسكري السوفياتي في قلب أوروبة (٣٨٠ ألف جندي في ألمانيا الشرقية وحدها).

٢ - الهيمنة السوفياتية في قلب أوروبة (٨٠٠ ألف جندي سوفياتي).

٣ - التجزئة الألمانية التي فرضها السوفيات (خسرت ألمانيا ٦ ملايين إنسان في الحرب).

٤ - الانقسام في أوروبا الغربية (يعزو نيكسون الفضل إلى الولايات المتحدة في دفع أوروبا نحو الوحدة عبر السوق المشتركة).

ويعترف نيكسون أنّ كلَّ هذه المقومات لم تعد قائمةً بعد الآن. وبدلاً منها هناك خمس مقومات جديدة هي:

١ - الفراغ الأمني في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي السابق (ص١١٦).

٢ - الديمقراطيات الهشة في شرق أوروبا (ص١١٨).

٣ - قيام ألمانيا الموحَّدة (إذا ارتفع إنتاج عمال ألمانيا الشرقية إلى مستوى عمال ألمانيا الغربية فإنّ الناتج القومي الألماني سيصل إلى ١,٥ ألف وخمسمائة مليار دولار في السنة) (ص ١١٨).

ويقول نيكسون: «إنّ التزاماتنا في أوروبا تمليها مصالحنا. فالدور الأميركي في حلف شمال الأطلسي ليس مطلوباً من أجل أوروبا فقط ولكنه يوفر لنا أداةً

رافعةً غير مباشرة للتعامل مع قضايا مثل أزمة الخليج والخلافات التجارية. فمن دون وجود عسكري في أوروبا لا صوت لنا في أوروبا» (ص١٢٤). ويقترح خمسة أسس لبناء «البيت الأطلسي المشترك»:

١ ـ ضمانات من حلف شمال الأطلسي لشرق أوروبا (ص١٢٧).

٢ ـ الفعالية الأميركية في شرق أوربا (ص١٣١).

٣ ـ إقامة علاقات أميركية ـ ألمانية وطيدة (ص١٣٦).

٤ ـ اعتماد سياسة الباب المفتوح تجاه الجمهوريات السوفياتية المستقلّة حديثاً (ص١٣٩).

المثلث الباسيفيكي:

يتألف هذا المثلث من الصين واليابان والاتحاد السوفياتي. ويلاحظ نيكسون أنّ العديد من المراقبين توقعوا أن يكون القرن الواحد والعشرون هو العصر الباسيفيكي، بعد أن كان القرن التاسع عشر العصر الأوروبي، والقرن العشرون العصر الأميركي. ولكنه يقول: هناك تناقض مميت، هناك انفجار في الازدهار مع عدم استقرار سياسي. ويرى نيكسون «أنّ توجه هذه المنطقة نحو مزيدٍ من الازدهار أو نحو مزيدٍ من الصراع يتوقف على الكيفية التي ستعالج الولايات المتحدة بها علاقاتها مع دول هذا المثلث» (ص١٤٨).

إنّ أكثر دول العالم النامي نجاحاً تقع في شرق آسيا. ومن بين دول المنطقة الثلاثة والعشرين، تتمتع ثماني دول بنمو اقتصادي سنوي يصل إلى ٥ بالمئة، ويصل بعضها إلى عشرة بالمئة. ولم يسبق لأي دولةٍ أوروبيةٍ غربيةٍ أن مَرَّتْ بمثل هذه التجربة. ويذكر نيكسون أنّ الدخل القومي لهذه الدول يبلغ ٤,٤١٠ مليار دولار، وأنّ هذه الدول تسيطر على ٢٠ بالمئة من التجارة العالمية. وخلال عام ١٩٨٩ بلغ حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة ودول شرق آسيا ٣٠٠ مليار دولار أي أكثر من حوالي مائة مليار دولار من حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. وللدلالة على أنّ الاستقرار لم يترافق مع

هـذا الازدهار، يقـول نيكسون إنـه منذ عـام ١٩٤٥ نشبت ١٢ حربـاً رئيسة أو صراعاً مسلحاً في المنطقة، وإنّ الولايات المتحدة التي بدأت تـورطها في الحـرب العالمية الثانية وأنهته في الباسيفيكي، خاضت غمار حـربين من الحـروب الثلاثـة الرئيسية في كوريا وفيتنام (ص١٤٨).

ويـرى نيكسون أن الـولايات المتحـدة تتمتع بمـوقع خـاص في زوايا المثلث اليـاباني ـ الصيني ـ الـروسي مما يـوفر لهـا قوة دفـع لتحقيق التـوازن في المنـطقـة (ص١٤٩). وبـالنسبة لليـابان يـرفض نيكسون النـظرية التي يـدعـو لهـا بعض المحللين الأمـيركيين والتي تقـول إنّ اليابـان، لأنها تنفق واحـداً بـالمئـة فقط من دخلهـا القومي عـلى التسلح توفـر أموالاً طـائلة تمكّنها من التفـوق الاقتصادي. ويدعو هؤلاء المحللون الولايات المتحدة إلى حث اليابـان على إنفـاق المزيـد على التسلح لتحمل عبء الدفاع عن استقرارها. ويسفّه نيكسون هذا الـرأي محذِّراً من أنّ تطوير القوات اليابانية المسلحة بحيث تتعدى حاجة الـدفاع عن أهـداف الأمن الذاتي المحددة هو غير مُجْدٍ استراتيجياً وغير واقعي سياسياً (ص١٥٢).

وبـالنسبة للصـين (١/٥ سكـان العـالم أي ١,١ مليـار إنسـان)، يـلاحظ نيكسـون أنها لم تصبـح فقط لاعبـاً سيـاسيـاً رئيسـاً ولكن يمكن أن تصبـح قـوة اقتصاديةً عالميةً أيضاً في العقود القادمة. ويصف نيكسون الصين بأنها «صوتٌ لا يمكن تجـاهله، وقوةٌ لا يمكنُ عـزلُهـا» (ص١٦٣). ويحـذّر نيكسـون الـولايـات المتحدة من أنّ فرض عقوبات على الصين قد يحقّق راحةً نفسيةً لأميركـا، ولكنّ تـدمـير الاقتصـاد الصيني لن يؤدي إلى متغـيرات إيجـابيـة (ص١٦٨). ويـدعـو نيكسون إلى:

* زيادة التورط الاقتصادي الأميركي في الصين (١٧٣).

* حمل الصين على أن تدفع ثمن لا مسؤوليتها الجيو ـ سياسية (١٨٠).

ويلاحظ أن المشاكل بين أقطاب المثلث لم تبدأ مع بدايـة الحرب البـاردة ولم تنته بنهايتها، ويقول إنّ اليابان القادرة على إنتاج السلاح النـووي يجب أن تبقى حليفـاً للولايات المتحـدة رغم الخـلافـات التجـاريـة. ويُعْـربُ عن اعتقـاده أنّ

الحكومة الجديدة في الكرملين تخلُقُ إمكانيةً لعلاقات اقتصادية وسياسية أوثق مع طوكيو بمجرد إعادة المناطق الشمالية إلى اليابان وهو أمرٌ متعذِّرٌ ما لم تلعب الولايات المتحدة دوراً فاعلاً (ص١٩٢). أما الصين فيقول أنه لا اليابان ولا الاتحاد السوفياتي ولا أي دولة في أوروبا تستطيع أن تقوم بما تستطيع الولايات المتحدة القيام به وهو دَفْعُ الصين نحو تغيرات سلمية (ص١٩٣). ويختم نيكسون هذا الفصل من الكتاب بقوله: «إذا كان استمرار الحضور الأميركي في أوروبا ضرورياً فإنّ استمرار هذا الحضور في الباسيفيكي لا يمكنُ الاستغناءُ عنه». وهنا يبدو الرئيس نيكسون وكأنه يصحِّحُ نفسه أو يناقض الرأي الذي ذكره في كتابه السابق «انتصار بلا حرب» فقد ذكر في مستهل فصل بعنوان: المارد الممزق (١٩٥) من ذلك الكتاب[٣]: «إنّ ميزان القوى في العالم سوف يعكس في سنوات ما بعد عام ١٩٩٩ تراجعاً متزايداً في هيمنة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، مقابل المزيد من الاهمية لثلاثة مردة دوليين: أوروبا الغربية، اليابان، والصين. إنّ مستقبل العالم يتوقف إلى حد بعيد على ما إذا كانت هذه القوى المركزية سوف تصب في دعم الشرق أو الغرب. لذلك يتحتم على الولايات المتحدة خلال سنوات ما قبل ١٩٩٩، أن تبذل جهوداً حثيثةً لدمج القوى الدولية الثلاث الطالعة في تحالفٍ عريضٍ من أجل منع العدوان السوفياتي ومن أجل إيجاد نظامٍ عالميٍّ أقوى»!!..

العالم الثالث:

يخصص نيكسون الفصل السادس من الكتاب للنصف الجنوبي من الكرة الأرضية (العالم الثالث)، وهو يصف هذه المنطقة من العالم بأن طريقها إلى التطور الاقتصادي تعترضها عراقيل صعبة، وحكومات فاسدة، وسوء سياسة اقتصادية، وسوء توجيه للستراتيجيات الانمائية (ص٢٣٣). ويصف كل هذه المشاكل بأنها مشاكل ذاتية وضعت دول المنطقة في حلقة مفرغة من الفقر تعجز

(٣) Richard Nixon, 1999 Victory without War (Simon & Schuster - N.Y. 1988) P. 195.

عن الخروج منها. ويرى نيكسون أنه «لا يمكن التغلب على هـذه العراقيـل ما لم نـطمئن إلى أن نجـاح الحـريـة[٤] في النصف الجنـوبي سـوف يحـل محـل سقـوط الشيوعية في العالم» (ص٢٣٤). ويحذر الولايات المتحدة من أن تغسل يديها من هذه المشاكل ويقول أنه في هذه الحالة فإن المستقبل سيكون «قصة عـالمين، عـالم غني وعالم فقير». ويـلاحظ أن ربع سكـان العالم النـامي يعيشون تحت مستـوى الفقر. وأن ٣٠ ألف شخص يموتـون يوميـاً من المياه الملوثـة. وأن معدل العمـر أقـل عشرين سنة عـما هو عليـه في الولايـات المتحـدة (ص٢٣٤). ولأن زيـادة السكان هي ثلاث مرات أكثر ممـا هي في الغرب، فـإنّ معدَّلَ الـدخل الفـردي سوف ينخفض مع نهاية هذا القرن عما هو عليه الآن. من الملاحظ أنّ نيكسون لا يشـير أبداً إلى أنّ من الأسبـاب الرئيسيـة لفقر العـالم الجنـوبي، نهب ثـرواتـه الطبيعية بعد عقود طـويلة من الاستعمار. كـما أنه يتجنب حتى منـاقشة النـظرية التي تقول أنه طـالما استمـر الخلل الكبير بـين أسعار المـواد الخام، وأسعـار المواد المصنعة فإنَّ العالم الثالث محكومٌ باستمرار بمعاناة الفقر والتأخر. ويشـير نيكسون ولـو بصورةٍ غـير مباشـرةٍ ولكنْ بوضـوح إلى أنّ المساعـدات التي كانت تقـدمها الـولايـات المتحـدة لـدول العـالم الثـالث كـانت تستهـدف مقـاومـة الشيـوعيـة (ص٢٣٤) . ولذلك فهو يدعـو إلى عدم التـوقف عن تقديم هـذه المساعـدات بعـد سقوط الشيـوعية لعـدة أسباب منهـا المحافـظة على المصـالـح الاقتصـاديـة والستراتيجية الحيوية للولايات المتحدة في هـذه الدول، ويقـول «إذا رفع معـدل الدخل في هذه الدول إلى مستوى الدول الأوروبية الغربيـة في القرن المقبـل فإن حجم الصادرات الأميركية سوف يزداد سنوياً بما يعادل ثلاثة آلاف مليار دولار. وبمـا أن كل مليـار دولار من الصادرات الجـديدة يـولـد ٢٥ ألف وظيفـة، فـإنّ بامكان الولايات المتحـدة أن تؤمن ٧٥ مليون وظيفـة جديـدة للاجيـال القادمـة خلال العقود المقبلة (ص٢٣٥).

(٤) يستعمل الرئيس نيكسـون كلمة الحـرية كتعبـير ايديـولوجي بـديل عن الشيـوعية، معتبـراً ان المفهوم الأميركي للحرية هو البديل الوحيد نافياً وجود أي مفهوم آخر أو أي بديل ايديولوجي آخر.

ومن الاسباب التي تدعو نيكسون إلى طلب استمرار تقديم المساعدات لدول العالم الثالث تحسبه من وقوع صراعات سياسية في هذه الدول. فهو يرى أن الفقر لن ينجب الشيوعية بعد الآن ولكنه سوف ينجب أنظمة راديكالية قاسية. ويلاحظ أنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية قتل ملايين الأشخاص في أكثر من ١٢٠ حرباً جرت في العالم الثالث، لا تزال أربعون حرباً منها مستعمرة حتى الآن (ص٢٣٥). غير أن نيكسون لا يشير أبداً إلى الدور الأميركي في تفجير هذه الحروب واستثمارها كما جرى في حرب الخليج مثلاً. وثمة سبب آخر يدعو نيكسون إلى طلب تقديم المساعدات وهو وقف الهجرة الفيضانية من العالم الثالث إلى الولايات المتحدة (ص٢٣٦). إنّ عدد سكان العالم الثالث اليوم يزيد على ٤ مليارات إنسان، وسوف يرتفع هذا العدد في عام ٢٠٢٥ إلى حوالي ٧,٢ ملياراً. وهذا يعني تضخماً في عدد العاطلين عن العمل ليصل إلى عدة مئات من الملايين وربما إلى عدة مليارات في القرن المقبل... «وسنجد هؤلاء غداً متسكعين أمام أبوابنا». (ص٢٣٦). ويرفض نيكسون فكرة فك الارتباط الأميركي مع العالم الثالث واعتبار هذا العالم أرضاً مشاعاً للعابثين مع الحكام الفاسدين (ولكن ماذا عن التراث الاستعماري الطويل والابتزاز المستمر)؟

وفي الواقع فإنّ نيكسون يتجاهل الدور الخارجي ويضرب صفحاً عن المسؤوليات المباشرة لهذا الدور في معاناة العالم الثالث ويركّز على دور عدم الاستقرار الداخلي والذي ينسبه إلى البنية الداخلية وحدها. ويقول إنه منذ عام ١٩٥٧ حصلت ٤٧ دولة افريقية جديدة على الاستقلال، ووقع أكثر من ٦٠ انقلاباً عسكرياً وأكثر من ٣٥ حادث اغتيال لقادة كما قُتل أكثر من ١٥ مليوناً آخرين جوعاً. ولا يوجد مخرجٌ في المستقبل المنظور (ص٢٤٦)؟!.

وعن أميركا اللاتينية يقول نيكسون إنه توجد في الوقت الحاضر ١٥ مجموعة شيوعية مختلفة وثلاث تجمعات ـ كارتل ـ لتجارة المخدرات. ويذكر أنه بين عامي ١٩٨٥ و١٩٩١ قُتل أكثر من ٣٠٠ قاض ووقع ١٨ ألف حادث اغتيال (ص٢٤٦). وفي دولة البيرو وحدها أدّت أعمال العنف في عقدٍ واحدٍ إلى خسائر بلغت قيمتها ١٠ مليار دولار (ص٢٤٧).

هل يكون الحل بالديمقراطية؟ . . عن هذا السؤال يشير نيكسون إلى أنّ هناك اعتقاداً بأنه نتيجة لنجاح الديمقراطية في المجتمعات الغربية فإنّ على هذه المجتمعات تصدير الديمقراطية إلى الدول المختلفة للاقتداء بها (ص٢٤٧)، ومع ذلك فإنه يحذّر من أنّ الديمقراطية ليست حلاً سحرياً لمعالجة هذه المشاكل، ذلك أن معظم العالم الثالث يفتقر إلى التقاليد السياسية الضرورية لعمل الديمقراطية بشكل جيد (ص٢٤٨). وحتى تقوم للديمقراطية قائمة فإنّ نيكسون يشترط أن تعيد أمم العالم الثالث النظر في ثقافاتها السياسية.

ويدعو نيكسون الولايات المتحدة إلى اعتماد استراتيجية في العالم الثالث تقوم على المبادىء الأربعة التالية:

١ ـ المساعدة في برامج تحديد النسل (ص٢٦٣).

٢ ـ تخفيض العوائق التجارية أمام صادرات العالم النامي (ص٢٦٤).

٣ ـ تحسين أداء المساعدات الاقتصادية (ص٢٦٧).

٤ ـ تسهيل عملية تسديد الديون التي تبلغ ١,٣ ألف مليار دولار (ص٢٦٩).

وينتهي هذا الفصل من الكتاب بتحذير مباشر، وهو أنه إذا تحول المستقبل إلى «قصة عالمين» فإنّ أسس السلام والاستقرار في المستقبل سوف تقوم على أرضٍ طرية (ص٢٧١). ويقول بعد ذلك إنّ السؤال يجب أن لا يكون هل نساعد؟ بل: كيف نساعد؟ ويشير نيكسون إلى الخطة الناجحة التي اعتمدتها الدول الآسيوية المتقدمة وهي تقوم على خمسة مبادىء:

١ ـ إرساء الإنماء على قاعدة السوق التنافسية (ص٢٤٠).

٢ ـ الاستثمار في الرأسمال البشري (ص٢٤٢).

٣ ـ تخفيض الإنفاق الحكومي (ص٢٤٢).

٤ ـ خلق ظروف لجذب الاستثمارات الأجنبية (ص٢٤٣).

٥ ـ توظيف الصادرات كمحرك للنمو الاقتصادي (ص٢٤٤).

العالم الإسلامي:

يعالج نيكسون في الفصل الخامس من الكتاب موضوع العالم الإسلامي.

ويستهل هذا الفصل بتقديم صورة بالغة السوء عن نظرة الأميركيين إلى المسلمين. فيقول: إنّ الأميركيين ينظرون إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، برابرة، مزاجيين، لا يستقطبون الانتباه إلّا لأنّ بعض قادتهم يحكمون مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط (ص١٩٤). والأميركيون يذكرون الحروب الثلاثة التي شنها العرب للقضاء على اسرائيل (اتهم نيكسون خلال فضيحة وترغيت بالـلاسامية بسبب الشتائم المسجلة بصوته ضد اليهود)، ويذكرون الرهائن الأميركيين الذين يعتقلهم الخمينيون المتعصبون، ويذكرون عملية الهجوم الارهابي على اولمبياد ميونيخ التي قام بها فلسطينيون من منظمة ايلول الأسود. ويذكرون مذابح الميليشيات الإسلامية في لبنان(؟) وتفجير الطائرات المدنية بواسطة سوريا وليبيا(؟) ومحاولة صدام حسين ضم الكويت على الطريقة الهتلرية. ويلخص نيكسون هذه الصورة بقوله: ليس لأي أمة في العالم، ولا حتى للصين صورة سلبية في الضمير الأميركي مثل صورة العالم الإسلامي (١٩٥).

وينتقل نيكسون بعد ذلك إلى الأمر الجوهري الذي يبدو أنه هو بيت القصيد. فينقل عن مراقبين قولهم إنّ الإسلام سوف يصبح قوةً جيوسياسية متعصبةً، فمن خلال نمو سكانه ومن خلال تبوئه مركزاً مالياً مهماً، سيفرض تحدياً رئيساً يحتم على الغرب أن يقيم تحالفاً جديداً مع موسكو للتصدي لعالم إسلامي مُعادٍ وعُدْواني (ص١٩٥). ويذكر نيكسون أنّ هذا التحليل ينطلق من اعتبار الإسلام والغرب عالمين لا يلتقيان، وأنّ للإسلام نظريةً تقسم العالم إلى قسمين: دار الإسلام ودار الحرب؛ حيث يجب القضاء على القوى غير الإسلامية.

لكنّ نيكسون يبادر بعد ذلك إلى طمأنة الغرب بأن كابوس هذا السيناريو

لن يتحقق ابداً (ص١٩٥). فالعالم الإسلامي أكبر وأكثر تنوعاً من أنّ يحرّكه قرع طبلٍ واحد (ص١٩٥). ويقول إنّ العالم الإسلامي ليس الشرق الاوسط - الوطن العربي -، ولكنه أكثر من ٨٥٠ مليون إنسان ($\frac{1}{6}$ البشرية) يعيشون في ٣٧ دولة. إنّ هذه الأمم تنقسم الى ١٩٠ اثنية وتتكلم مئات اللغات واللهجات الخاصة وتنتمي إلى ثلاث مجموعات دينية: السنة والشيعة والصوفية(؟). بالاضافة إلى عشرات أصغر منها. وهم ينتشرون على طول ١٠,٠٠٠ ميل من الأرض تمتد من المغرب إلى يوغسلافيا، ومن تركيا إلى الباكستان، ومن جمهوريات آسيا الوسطى في الاتحاد السوفياتي إلى اندونيسيا الاستوائية. ويوجد مسلمون في اندونيسيا أكثر مما يوجد في كل الشرق الأوسط (ص١٩٦).

ويدعي نيكسون أن ثمة عاملين مشتركين في العالم الإسلامي، وهما الإسلام والاضطرابات السياسية (ص١٦٩). ويعترف في الوقت نفسه أنّ الإسلام ليس ديناً فقط ولكنه أساس حضارة رئيسة: «إننا نتحدث عن العالم الإسلامي كشخصية واحدة. ليس لأنه يوجد مكتب سياسي يوجه شؤونه السياسية، ولكن لأنّ كل الأمم الإسلامية تشترك في تيارات سياسية وثقافية تصب في مجموع الحضارة الإسلامية» (ص١٩٦): «إن اللحن السياسي نفسه يتردد في طول العالم الإسلامي وعرضه بصرف النظر عن الفوارق بين الدول المختلفة» (ص١٩٦). إنّ المشاركة في العقيدة والسياسة تولد تضامناً مائعاً ولكنه تضامن حقيقي. فعندما يقع حادث رئيسي في جزء من العالم الإسلامي تهتز له سائر الاجزاء (ص١٩٦). واقعية هذا التصوير للعالم الإسلامي تؤكد هواجس نيكسون ومخاوفه من الآفاق المستقبلية التضامنية للعالم الإسلامي. ولا شك في أنّ اقتطاع العالم الإسلامي من بين المناطق الجغرافية الكبرى التي ترسم خريطة نيكسون العالمية الجديدة يؤكد هذه المشاعر. يحدِّدُ نيكسون ثلاثة عوامل تجعل الصراع أمراً لا مفرَّ منه مع العالم الإسلامي، وهذه العوامل هي: الديموغرافيا، الاقتصاد، والتوجهات السياسية. عن الديموغرافيا يقول إن الانفجار السكاني في العالم يتمركز في العالم الإسلامي (ص١٩٧) فعدد سكان الشرق الأوسط وحده سوف يتضاعف في حدود عام ٢٠١٠.

وعن الاقتصاد يقول، إن النمو الاقتصادي لن يتحقق بنفس وتيرة النمو الديموغرافي ليمنع هبوطاً في مستوى المعيشة ممّا يحول دون قدرة الحكومات على مقايضة السلام بالتهديدات بعدم الاستقرار. ويذكر في هذا الاطار مشاكل المياه، والحدود الوطنية. إلّا أنّه لا يذكر شيئاً عن دور الولايات المتحدة في إثارة هذه المشاكل وعرقلة حلها.

وعن التوجهات السياسية يقول نيكسون إنّ الأنظمة السياسية وهي أوتوقراطية بغالبيتها، ودكتاتورية في اصولها، تعتمد على احتكارها للقوة أكثر مما تعتمد على دعم الشعوب لها. والليبرالية السياسية أدت غالباً إلى التمزق أكثر ممّا أدّت إلى الديمقراطية (ص١٩٧).

ويشير نيكسون إلى أن دول العالم الإسلامي أنفقت في عام ١٩٩٠ أكثر من ٨ بالمئة من دخلها القومي على التسلح، فيما لم يتعد هذا الرقم في الغرب نسبة الخمسة بالمئة. ولكنه لا يقول إن أكثر من ٨٥ بالمئة من هذا الإنفاق كان من حصة الولايات المتحدة وأوروبة الغربية. ويلاحظ أن النفوذ السوفياتي في العالم الإسلامي لم يقم على قوة جذب الأفكار الشيوعية إنما على قوة مبيعات الاتحاد السوفياتي من الأسلحة لكل من العراق وسوريا وليبيا والصومال ومصر (حتى عام ١٩٧٣). ويقول إن نجاح الإسلام في امتحان التصدي للشيوعية كان أفضل من نجاح المسيحية (ص١٩٨). ويتحدث نيكسون عن التراث الحضاري الإسلامي بموضوعية ويقول إنه في الوقت الذي كانت أوروبا غارقةً في ظلمات العصور الوسطى كانت الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي. فقد قَدّم العالم الإسلامي مساهمات جمة في العلوم والطب والفلسفة (ص١٩٩): ابن سينا أعظم كاتب في الطب، الرازي أعظم فيزيائي، البيروني أعظم جغرافي، ابن الهيثم أعظم طبيب للعيون، جابر بن حيّان أعظم علماء الكيمياء: «وضع العلماء العرب القواعد العلمية، وعندما اقتحم رواد الحركة الإصلاحية في أوروبة آفاق المعرفة كانوا يرون أفضل لأنهم كانوا يقفون على أكتاف العمالقة من العلماء المسلمين» (ص١٩٩). وهنا يربط نيكسون بين هذا الماضي وآفاق المستقبل الإسلامي عندما يقول: «تمثل هذه الإنجازات ما كان عليه العالم

الإسلامي في الماضي. وتشير إلى ما يمكن أن يكون عليه في المستقبل إذا وُضع حدٌ لعواصف الحرب المميتة ولعدم الاستقرار السياسي (ص١٩٩). فالعالم الإسلامي عبارة عن حضارة ضخمة تبحث عن شخصيتها التاريخية» (ص١٩٩).

يقسم نيكسون الحركات السياسية في العالم الإسلامي إلى ثلاثة تياراتٍ فكريةٍ هي: الأصولية ـ الراديكالية ـ الحداثة. ويقول إن سكان العالم الإسلامي مرشحون للثورة: إنهم شبابٌ: أكثر من ٦٠ بالمئة منهم تحت سن الخامسة والعشرين. إنهم فقراء. إنّ متوسط الدخل الفردي ـ بما في ذلك الدول الغنية بالنفط في الخليج ـ يبلغ ١٦٠٠ دولار في السنة مقارنة بمبلغ ٢١,٠٠٠ دولار في الولايات المتحدة (ص٢٠٣).

إنّ ٢٧ بالمئة فقط من شعوب العالم الإسلامي تعيش في دول ديمقراطية. وتلقى الحركات الأصولية الإسلامية هوىً لدى الناس ليس بسبب ما تطرحه ولكن بسبب ما تعترض عليه (ص٢٠٣). ويدعو نيكسون إلى «دعم مصالحنا ومصالح أهل التحديث في العالم الإسلامي»، ويقول عنهم إنهم يريدون أن يقدمّوا إلى شعوبهم بديلاً عن الايديولوجية الاصولية المتطرفة وعن العلمانية الراديكالية: «إنّ رفض الاسرة الكويتية المالكة تبني اصلاحات ديمقراطية ذات جدوى بعد تحرير الكويت من صدام حسين يقدم مثلاً مثيراً على مدى حساسية الحكام الاوتوقراطيين غير المنتخبين في العالم الإسلامي». (ص٢٠٣). وعن طريقة تعامل الولايات المتحدة في ظل النظام العالمي الجديد مع العالم الإسلامي، يقول نيكسون: «للتأثير على التطور التاريخي في العالم الإسلامي ينبغي علينا عدم صياغة استراتيجية تطبق سياسة واحدة في كل الدول الإسلامية. إنما علينا اختيار نقاط مفصلية من أجل وجودنا. علينا إرساء شراكةٍ مع دولةٍ عصريةٍ مختارةٍ نشاركها المصالح والاولويات ويكون لها ثقلها في المنطقة (ص٢٠٥). ومن خلال العمل معها لمعالجة قضايا سياسية وأمنية ومن خلال تقديم النصح والمساعدة لتطوير نموها الاقتصادي وبروزها التدريجي كنماذج ناجحة داخل العالم الإسلامي، فإننا نسرّع إمكانات التحديث في كل المنطقة

(ص٢٠٥). ومن الـواضح أنّ الهـدف هو الاستيعـاب (عن طـريق التحـديث) وقطع الطريق أمام أي انفلات إسلامي من قبضة الهيمنة الأميركية.

وفي هـذا الإطار يسمي نيكسـون أربع دول يـرى أنها منطقيـاً، أقـرب إلى الشراكة مع الولايات المتحدة وهي: تركيا وباكستان ومصر واندونيسيا. ويتابع: «إن سيـاسة اختيـار الشركاء لن تحقق نجـاحاً فـورياً، ولكن سيكـون للولايات المتحدة بعد جيل واحد تأثير على التطور التاريخي للعالم الإسلامي (ص٢٠٨).

ويحـذر نيكسـون من «ضرورة عـدم احتضـان الـدول الاستبـدادية بحيث تصبح علاقتنا معها هدفاً للنقد الداخلي» (ص٢٠٨).

وينصح كذلك الولايات المتحدة بتحمل مواقف يضطر بعض أصدقـائها في العالم الإسلامي إلى اتخاذها رغم معرفتهم بأنها لا تخدم المصالح الأميركيـة وذلك بسبب حسـاسيتها البـالغة في دولهم. ويضرب عـلى ذلـك مثـلاً عنـدمـا قصفت الولايات المتحـدة ليبيا في نيسـان ـ ابريـل ـ ١٩٨٦، «العديـد من قادة المنـطقة ندّدوا بنا علناً ولكنهم حيّونـا سراً»: علينـا ان نتعلم كيف نغضّ الطّرف عنـدما تحمل الظروف اصدقاءنا على تقديم خدمة شفوية لأعدائنا (ص٢٠٨).

ويعترف نيكسون أن العالم الإسلامي يطرح أعظم تحد للسياسيـة الخارجيـة الأمـيركية في القـرن الواحـد والعشرين (ص٢٠٩). ولذلـك فإنـه يقـترح عـلى السياسة الاميركية تجنب «**ثلاثة اوهام قاتلة**» هي:

١ ـ وهم الاطـار الأمني الشـامـل (من الحلف الثـلاثي ١٩٥٠ حتى مبـدأ ريغان ١٩٨١ مروراً بحلف المعاهدة المركزيـة ١٩٥٥، ومبدأ ايـزنهاور ١٩٥٧، ومبدأ كارتر ١٩٨٠). ولا ينسى نيكسون أنـه هو نفسـه أيضاً وخـلافاً لما يقولـه الآن صاغ «مبدأ نيكسون» الذي نص عـلى اقامـة نظام أمني اقليمي يستنـد إلى الـدعم العسكري الأمـيركي وحتى إلى التدخـل العسكـري المبـاشر إذا اقتضت الحاجة ذلك (ص٢١١).

٢ ـ وهم مراقبة التسلح الاقليمي (وهـو يقترح بـديلاً من المقـاربة الشـاملة للموضوع اعتـماد سياسيـة تمييز ضـد تسلح دول يصفها بـأنها تهدد جـيرانها مثل

سوريا والعراق) (ص٢١٢). أمّا اسرائيل التي تحتل الأراضي العربية وتعتدي على عرب الأرض المحتلة وعلى جيرانها العرب الآخرين فلا تمييز ضد تسلحها.

٣ ـ وهم إعادة توزيع الثروة الاقليمية (وهو يقول أن المحاولات السابقة لا تترك مجالاً للأمل بتحقيق ذلك) (ص٢١٣).

ويتحدث نيكسون عن موقف موسكو وواشنطن من الثورة الإسلامية الإيرانية فيقول إن موسكو حاولت اختطاف الثورة الاصولية في إيران في عام ١٩٧٩ من خلال تسلل الشيوعيين إلى داخل الحكومة. وكان يمكن لهذه الخطة أن تنجح لو لم يلجأ إلى الغرب الرئيس المقيم في طهران لجهاز الاستخبارات السوفياتية (ص٢١٤).

وبالنسبة لواشنطن يسفّه الذين يحمّلون الولايات المتحدة وزر سوء العلاقات مع إيران. ويقول إن إيران واصلت تمويل شبكات الارهاب الدولي التي استهدفت الولايات المتحدة بمّا في ذلك نسف السفارة الأميركية وثكنات المارينز في لبنان في شهر تشرين أول ـ اكتوبر ١٩٨٣ (ص٢١٥).

وكم يبدو نيكسون صادقاً وموضوعياً عندما يقول «إن المصالح الأميركية المباشرة في الشرق الأوسط تنحصر في اثنين هما النفط واسرائيل» (ص٢١٧).

ويتحدث عن اشكالية هذه العلاقة مؤكداً على قاعدة أساسية وهي: علينا تأمين حياة اسرائيل والعمل مع الدول العربية المعتدلة لتأمين سلامة الخليج الفارسي (ص٢١٧).

ويتحدث عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي (خمسة حروب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٨٢ بالاضافة إلى عدد لا يحصى من الاشتباكات المسلحة الأخرى). ويدعو نيكسون إلى حث الخطى من أجل تحقيق تسوية سياسية بين العرب واسرائيل ولكنه في الوقت نفسه يقول: «إن التزامنا بوجود وبسلامة اسرائيل هو التزام عميق، فنحن لسنا مجرد حلفاء ولكننا مرتبطون مع بعض بأكثر من قصاصة ورق. إنه التزام معنوي. وخلافاً للاعتقاد فإنّ اسرائيل ليست مصلحة استراتيجية للولايات المتحدة... إنّ التزامنا بإسرائيل ينطلق من

شرعية الحرب العالمية الثانية ومن المصالح المعنوية والايديولوجية بتأمين بقاء الديمقراطيات. لن يجرؤ رئيس أميركي أو مجلس كونغرس أبداً على السماح بتدمير دولة اسرائيل» (ص٢١٨).

ويحدد نيكسون ثلاثة أسباب للمضي قُدُماً في مسيرة التسوية السياسية في الشرق الأوسط:

السبب الأول ـ هو أن اسرائيل حصلت منذ منتصف السبعينات من الولايات المتحدة على مساعدات مباشرة وغير مباشرة تبلغ قيمتها ٤٩ مليار دولار. وفوق ذلك حصلت اسرائيل على ١٦,٤ مليار دولار بين عامي ١٩٧٤ و١٩٨٩ وعلى قروض تحولت إلى هبات (ص٢٢٠).

السبب الثاني ـ أن الصراع يخلق وضعاً يمكن أن يجر الولايات المتحدة إلى حرب تضطرها إلى استعمال الأسلحة النووية (ويذكر نيكسون كيف أنه وضع في عام ١٩٧٣ القوات النووية الأميركية في حالة تأهب للتصدي لأي تدخل سوفياتي في المنطقة) (ص٢٢١).

وهو يعتبر أنه يمكن خدمة مصالح الولايات المتحدة واسرائيل معاً من خلال تسوية تقوم على مقايضة الأرض بالسلام. ويرى أن الوقت الحاضر ـ بعد حرب الخليج ـ يوفر أفضل فرصة لتحقيق هذا الهدف (ص٢٢٢). ويرى أن من المهم أن يشعر العرب والاسرائيليون أن لا شيء اسوأ من التسوية سوى استمرار الوضع الراهن.

أما مبادىء التسوية كما يراها نيكسون فهي (ص٢٢٤):

١ ـ اعتراف دبلوماسي كامل باسرائيل من جميع جيرانها.

٢ ـ حدود آمنة لاسرائيل.

٣ ـ عودة اراضٍ مستولىً عليها في عام ١٩٦٧ إلى الدول العربية.

٤ ـ حكم ذاتي للفلسطينيين.

ويدعو نيكسون إلى الاعتراف بحقيقة أساسية من حقائق الحياة الدولية. وهي أن المعاهدة ـ أي معاهدة ـ يمكن أن تغير سلوك الدول، ولكنها لا تغير مشاعر الناس (ص٢٣٠). إن السلام في الشرق الاوسط لا يعني أن على العرب والاسرائيليين أن يتعلموا كيف يحبون بعضهم. لقد كرهوا بعضهم لعدة قرون. وسوف يستمرون في ذلك ولكنه يعني، على الأكثر، أن يتعلموا كيف يعيشون بسلام مع خلافاتهم. أي تسوية دائمة تتطلب أن يبقوا مفصولين عن بعضهم من خلال جدار من الترتيبات الامنية بحيث يدفع المعتدي الذي ينتهكها أكثر كثيراً مّما يمكن له أن يأمل في كسبه (ص٢٣٠).

وينهي نيكسون هذا الفصل من كتابه معترفاً بأن العالم الإسلامي قاد المسيحية لمدة خمسة قرون من عام ٧٠٠ حتى عام ١٢٠٠ ـ في ميادين قوة الجغرافيا السياسية (الجغراسيا) ومستوى المعيشة، والدين، والقانون، ومستوى التعليم في الفلسفة والعلوم والثقافة. ولكنّ عقوداً من الحروب قلبت الطاولة (ص٢٣١). فكما أنّ المعرفة التي جاءت من الشرق اطلقت حركة النهضة في الغرب، فقد حان الوقت ليساهم الغرب في نهضة العالم الإسلامي.